جامعـــــــــــــة بسكـــــــــــرة

كليـــــــــة الآداب واللغـــــــات

قســـم الآداب واللغة العربية

محاضــرات في مقيــاس النقد الأدبـــي القديم

لطلبـــة السنـــة الأولى ليسانس (ل م د)

المحاضـــرة الأولـــى بعنـــوان: النقد الأدبي مفهومه وتطوره

إعداد الدكتورة: سامية راجح

السنة الجامعية: 2021-2022

النقد الأدبي مفهومه وتطوره:

توطئة: النقد عملية وصفية تبدأ بعد عملية الإبداع مباشرة، وتستهدف قراءة الأثر الأدبي ومقاربته بأجل تبيان مواطن الجودة والرداءة فيه، فالناقد يكشف، فما هو صحيح وأصيل في النص الأدبي، ويميز مما هو زائف ومصطنع.

ويسير النقد وفق مجموعة من الخطوات والإجراءات الضرورية التي تتجسد في قراءة النص الأدبي وتحليله شكلا ومضمونا وتتمظهر العملية النقدية في دراسة وإصدار أحكام على النصوص الأدبية بالاعتماد على النقاش العميق بأساليب النقد الأدبي، وهو أحد الفنون الأدبية التي يرتبط فيها ذوق الناقد وفكره وثقافته بالنص الأدبي للكشف عن جماليته.

1) أهمية النقد الأدبي:

للنقد الأدبي أهمية كبيرة في الخطاب الأدبي، لأنه يوجه دقة الإبداع ويساعده على النمو والتطور والازدهار، ويضئ السبل للمبدعين المبتدئين ويعرفهم بآخر نظريات الإبداع والنقد ومدارسه وتطوراته الفلسفية والجمالية والعلمية، ويجلي لهم طرائق التجديد والإبداع.

2) الإطار اللغوي "للنقد": (مفهومه):

لقد انطلق تصور القدامى لمفهوم النقد من الدلالة اللغوية لمادة "نقد" وقد استعمل لفظ "النقد" في اللغة العربية بمعاني مختلفة من بينها:

- جاء في لسان العرب في مادة "نقد": «النقد والتنقاد لأبن منظور تمييز الدراهم واخراج الزيف منها...»، وفي حديث أبي الدرداء: «إن نقدت الناس نقودك إن تركتهم

تركوك، معنى[1] نقدتهم أي غبيتهم واغتبتهم قابلوك بمثله»، وفي قاموس المحيط: «النقدية تمييز الدراهم وغيرها كالتنقاد والانتقاد والتنقد...».

إذن تتميز الدلالة اللغوية لمادة النقد حول محورين أساسين:

1. يتصل بنقد الدراهم وذلك بتميز رديئها من جيدها.
2. يتصل بالذم أي ذم الآخرين وذكر عيوبهم والمعنيان قريبان ولكن المعنى الأول أوسع دائرة من الثانية لما يشمل عليه من معنى الفحص والدراسة والمعالجة... (فحص الجيد من الرديء)، أما الثاني فيقتصر على معنى الذم وإظهار العيوب، ثم نقلت دلالة المعنى الأول من مجالها السابق (نقد الدراهم) إلى نقد الأساليب أو نقد الخطاب الشعري أو نقد الأدبي، وذلك لقابلية التميز بين الأشياء (نص، دراهم، ....) التي تتضمنها كلمة نقد في أصلها اللغوي.

3) المعنى الاصطلاحي للنقد:

لقد كان التطور لمصطلح نقد عن النقاد العرب القدامى تابعا للدلالة اللغوية، الواردة في المعاجم العربية، وحسب ما أورده ابن السلام الجمحي (طبقات فصول الشعراء) عدها أقدم وثيقة في تاريخ النقد ويعد خلف الأحمر، من أوائل من نقل بدلالة النقد من تعبير الدراهم إلى نقد الشعر وتميزه ويظهر ذلك جليا في قوله: «وقال قائل لخلف إذا استمعت أنا بالشعر واستحثه فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك، قال إذا، وإذا أخذت درهما واستحسنته فقال لك الصراف إنه رديء فهل ينفعك استحسانك إياه»[2].

فقد ربط خلف الأحمر في رأيه بين العمل الصيرفي في تمييز الدراهم ونقدها وصنيع النقاد في تمييز الشعر والملاحظ من خلال هذا النص أن خلف الأحمر لم يورد مصطلح النقد "كما هو" في استحسان الشعر وتميزه بالمثل عن ابن السلام الجمحي عن هذه

---

[1] ينظر: ابن منظور(محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين): لسان العرب، در المعارف، مج5، القاهرة، (د.ط) (د.ت).

[2] محمد منظور، لسان العرب، مج6، ص

الممارسة بعبارة (العلم بالشعر) وتتأكد هذه النظرة في قوله، وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر العلم والصناعات"[1] ويبدو أن أقدم محاولة استخدمت هذا المصطلح عنوانا لهذه الممارسة النقدية ووصلت إلينا عن قدامى بن الجعفر في كتابه الموسوم بـ (نقد الشعر) أين أخذت الكلمة أوفى مدلولها الاصطلاحي، فالنقد عند قدامى بن جعفر هو الكشف عن أصالة الشعر بين عدمها والتميز بين جيده ورديئه[2].

إذن التأسيس المعرفي لمعنى النقد في 2019/10/29 اللغة العربية أو في المصطلح النقدي العربي كان يعني التمييز أو اختيار حقيقة الشيء لمعرفة قيمته أدبية وجمالية... ، وقد أنبى ذلك المفهوم على معنى الجودة والرداءة في مفهوم النقد العربي القديم، فمفهوم النقد في الاستعمال القديم (النقد القديم) إنما يعني اختيار النص الأدبي لمعرفة مدى جودته أو رداءته، هذا فيما يتعلق ببروز الكلمة (نقد) وتطورها الدلالي، أما من حيث اكتمال المفهوم فالنقد في أوضح صوره:

- دراسة الأثر الأدبي وتفسيره أي تقويم هذا الأثر وكل ذلك قائم على الذوق تبعا للمقاييس الجمالية. كما أخذ النقد معنى العيب بمعنى أنه من مستلزمات فحص الصفات ونقدها وهو بهذا المعنى ضد التفريض، وقد بني النقاد تعريفهم على المعنى الأول (التمييز) وهو عندهم التقدير الصحيح لأي أثر فني وبيان قيمته في ذاته فمفهوم النقد الدقيق وفي دلالته العامة هو (الحكم).
- فالنقد الأدبي إذن يعني الوقوف عند حدود دراسة الأعمال الأدبية بهدف الكشف عما فيها من مواطن القوة والضعف والحسن والقبح وإصدار الأحكام عليها.

---

[1] ابن سلام الجمحي (محمد بن سلام بن عبد الله)، طبقات فحول الشعراء، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، لبنان (د.ط) (د.ت).

[2] ينظر: قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوانب قسطنطينية، ط1، 1934، ص

فأصول النقد إذن:

- قراءة وفهم وتفسير وتحليل وحكم وظيفة النقد وتقدير وتقويم العمل الأدبي من الناحية البينية والموضوعية.
- ووظيفته القصوى الأخذ بالأدب الأدباء.
- والقراءة إلى خير السبيل وأسمى الغايات.

فالنقد هو فن تقويم النص الأدبي عن طريق التميز بين شيء وآخر، وذلك بدراسة المميزات والقراءة، ومع القدرة على إصدار الأحكام الدقيقة المحللة بالجودة أو الرداءة. بناءا على ما تقدم يمكننا القول أن كلمة (نقد) وجدت في الاصطلاح العربي القديم كتصور ومفهوم عام، ولم يوجد تعريف محدد دقيق فهذا التصور والمفهوم قبل " قدامى بن جعفر" صاحب كتاب "نقد الشعر "، ومن ناقد إلى آخر فإنه يلتقي عند مفهوم الدلالة اللغوية للمادة (نقد)، سواء كان ذلك في نقد الدراهم لتغير جيدها من رديئها أم في عيب الآخرين ثم تطور المصطلح لتطور ومعرفة وممارسة من عصر لآخر حسب التطور التاريخي للنقد العربي القديم.

4) مراحل تطور النقد العربي:

ظهر النقد العربي عند العرب منذ العصر الجاهلي في شكل أحكام انطباعية وذوقية وموازنات ذات أحكام تأثريه مبنية على الاستنتاجات الذاتية كما نجد ذلك عند النابغة الذبياني في تقويمه للشعر الخنساء وحساني بن الثابت، وقد قامت الأسواق العربية وخاصة سوق المربد وسوق عكاظ بدور هام في تنشيط الحركة الإبداعية والنقدية، كما كان الشعراء المبدعون (نقادا) يمارسون التقويم الذاتي وذلك من خلال مراجعة نصوصهم الشعرية وتنقيتها وتصحيحها واستشارة المثقفين وأهل الدراية بالشعر، كما نجد ذلك عند زهير بن أبي سلمى الذي كتب مجموعة من القصائد سميت بالحوليات ويدل على المفهوم الاصطلاحي على عملية النقد والمدارسة والمراجعة الطويلة والعميقة والمتأنية وتحيل

مجموعة من المصطلحات النقدية التي وردت في شعر شعراء الجاهلية على نشاط (الحركة) الرؤية النقدية وازدهارها، كما بين الباحث المغربي "الشاهد البوتيخي" في كتابه " الموسوم "مصطلحات (النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين).

وإبان فترة الإسلام، ارتبط النقد بالمقياس 2019/11/05 الأخلاقي والديني، كما نلحظ ذلك في أقوال وأراء الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، فقد تطور النقد في القرن الأول الهجري (الدولة العباسية) بظهور مجموعة من النقاد البارزين كابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء ومحمد بن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء والإصبعي في كتابه فحول الشعراء، والمفصل الغيبي والمقصليات، وقد تبين هؤلاء النقاد عدة مقاييس نقدية في تطبيقاتهم الوصفية كمقياس طبقات الشعرية مقياس الفصول الشعرية، المختارات الشعرية وثقة نقاد آخرون ساروا بالنقد أشواطا مهمة كقدامى بن جعفر نقد الشعر وبن طبابة في كتابه عيار الشعر، والحاتمي في كتابه حلية المحاضرة وبن وعيع التونسي في كتابه المنصف وابن جني في كتابه الفسر في شرح ديوان المتنبي، والفرزدقي في شرحه لعمود الشعر العربي القديم، الذي ورد ضمن مقدمة (ديوان الحماسة لأبي تمام) وعبد القاهر الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه والصولي في كتابه أخبار أبي تمام.

هذا ويعد كتاب نقد الشعر لقدامى بن جعفر أول كتاب ينظر إلى الشعرية العربية على غرار كتاب فن الشعر لأرسطو وذلك لوجود النظرة الفلسفية والتنظير المنطقي لمفهوم الشعر.

بينما يعد أبو بكر البقلاني أول من حلل قصيدة شعرية متكاملة قصيدة أمرؤ القيس في كتابه إعجاز القرآن، بينما كان التركيز النقدي على البيت المفرد أو مجموعة من الأبيات المتقطعة وفي هذه الفترة بالذات (العباسية) عرف النقاد العرب القدامى المنهج الطبقي والمنهج البيئي والمنهج الأخلاقي.

والمنهج الفني مع بن سلام الجمحي والأصمعي صاحب كتاب فحول الشعراء وابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء، وقدامى بن جعفر في كتابه نقد الشعر.

5) أهميته:

ومن المعروف أن للنقد أهمية كبيرة لأنه يوجه دقة الإبداع ويساعده في النمو والتقدم والازدهار ويضئ السبل أمام المبدعين كما يقوم عملية التقويم ويعبر عن مواطن الجمال والقبح والجودة والرداءة والطبع من التكلف والتصنيع والتصنع، أضف إلى ذلك أن النقد يعرف الكتاب والعبد عين في آخر نظريات الإبداع والنقد ومدارسه وتصوراته الفلسفية والفنية والجمالية ويجلي لهم طرائق التجديد والتحديث والتغيير، ويمنعهم عن سبل التقليد والاجترار والنقل والمحاكاة العمياء ومن النقاد العرب الذين كان لهم دورًا كبيرًا في الارتقاء بالأدب لعبد القاهر الجرجاني، الذي اعتمد على نظرية النظم والمنهج البلاغي لدراسة الأدب وصوره الفنية وذلك رغبة منه في تثبيت إعجاز القرآني في كتابيه دلائل الإعجاز وأساس البلاغة.

الملاحظة أن أولى دراسة نقدية منهجية حسب الناقد محمد مندورر[1] وهي دراسة الأمر في كتابه الموازنة بين الطائيين(البحتري وأبي تمام) بيد أن النقد سيبلغ قمته مع حازم القرطاجني الذي اتبع منهجا فلسفيا في التعامل مع ظاهرة التخيل الأدبي والمحاكاة وربط الأوزان الشعرية بأغراضها الدلالية وذلك بكتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" والسجلماسي في كتابه " الفراغ البديع في تحنيس البديع " وابن البناء المراكشي في كتابه "الروض المريع في صناعة البديع".

[1] ينظر: محمد منذور: النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، إبريل 1996، ص

6) قضايا النقد القديم:

ومن القضايا النقدية التي أثيرت في النقد العربي القديم نذكر قضية اللفظ والمعنى والسرقات الشعرية وقضية أفضلية الشعر والنثر وقضية الإعجاز القرآني وقضية عمود الشعر، وقضية الموازنة وقضية بناء القصيد لابن طباطبة وابن قتيبة وقضية الفن والدين عند الأصمعي والصولي وقضية التخيل الشعري والمحاكاة عند الفلاسفة النقاد مثال القرطاجني والكندي والفرابي وابن سينا وابن رشد والسجلماسي...